العدد 5 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية آيار 2024
No. 5 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences May. 2024
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

تحليل أنثروبولوجي - في قصة (جذور) لعاتي بركات

أ.م.د. سندس محمد عباس
أنثروبولوجيا الأدب
جامعة القادسية /كلية القانون
sondoa.mohammad@qu.edu.iq
07812373563

الملخص
تمكن الانثروبولوجية تحليل الاعمال الادبية واستكشافها من منضور اجتماعي ثقافي واقتصادي ودراسة تأثير البيئة على سلوك الانسان وثقافته، وماتحدثه من تغيرات في سلوكه الاجتماعي ، تأزرها القيم والعادات والمعتقدات الموروثة التي تعكس ظلالها على شخصيته، فضلا عن العوامل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية، التي لابد من دراسته لفهم كيفية تشكل الهوية والانتماء لبطل القصة، الذي هو انعكاس للشخصية العراقية في اصالتها وانتمائها ، كذلك تكشف غور اثر السلطة المهيمنة وقوتها بواسطة الحياة الاجتماعية والسياسية، والعلاقات السلطوية والطبقية في المجتمع ، وتأثيرها على سلوك الشخصية فالعرق والدين والجنس عند تحليلها نكشف عن الانتماء الاجتماعي للبطل الذي هو صدى للشخصية العراقية وعن القرارات التي يتبناها نتيجة هذا التاثير، وكذلك معرفة العادات والتقاليد والمعتقدات التي تحملها شخصية البطل وكيف تؤثر على سلوكه وقرارته ، وعلى علاقاته الاجتماعي .
كلمات مفتاحية : قصة جذور – عاتي بركات

Anthropological analysis In the story (Roots) by Ati Barakat

Dr. Sundus Mohamed Abbas
Anthropology of literature
Al-Qadisiyah University/College of Law
sondoa.mohammad@qu.edu.iq
07812373563

Summary:
Anthropology enables the analysis and exploration of literary works from a social, cultural and economic perspective and the study of the influence of the environment on human behavior and culture, and the changes it causes in his social behavior, reinforced by inherited values, customs and beliefs that reflect their shadows on his personality, as well as social factors.
Political, economic and historical, which must be studied to understand how identity and belonging to the hero of the story are formed, who is a reflection of the Iraqi personality in its originality and belonging. It also reveals the depth of the impact of the dominant authority. And its strength through social and political life, authoritarian and class relations in society, and its impact on the character's behavior, such as race, religion, and gender. When analyzed, we reveal the social affiliation of the hero, which is an echo of the Iraqi character, and the decisions he adopts as a result of this influence, as well as knowing the customs, traditions, and beliefs that the hero's character carries and how they affect On his behavior and decisions, and on his social relationships.
Keywords: The story of roots - Ati Barakat

المقدمة:

يعد الأدب عموماً والقصة على وجه الخصوص منجماً ثراً لاستقراء واقع المجتمع وثقافته وتحولاته، والقصة أيضاً هي الحقل الأخصب للتجريب في البناء والمضمون وفي المقاربة النقدية وتجريب المذاهب النقدية عليها .

لذلك على الأدب استعارة الكثير من المفاهيم العلوم الإنسانية ونقلها إلى ميدان النقد الأدبي الممارس.

القصة التي نقف عنده اليوم لدراستها دراسة انثربولوجية ، انطلاقاً من فرضية أن النص الأدبي جزء من الثقافة والمجتمع، والأديب لا يختلف في كثير من الأحيان عن الأنثربولوجي في رصده للظواهر الأنثربولوجي ، إذ يبقى الفرق بين الاثنين فقط أن الأول أنثربولوجي مكتبي والثاني أنثربولوجي ميداني . ولأن هذا النمط من التحليل يحمل مؤشرات ودلالات لأصحاب القرار ومن معهم من خبراء وباحثين وإداريين وتقدم لهم مشاهد سيناريوهات يرون فيها المشكلات والتحديات بكل حقائقها ومحدداتها البنائية الغائرة في عمق الحياة العراقية .

قصة (الجذور) ضمن المجموعة القصصية (مدن الثلج) للقاص عاتي البركات بركات وهو شاب عراقي يعيش في مدينة صغيرة الان، بعد ان جاب بلاد الله يميناً وشمالاً لكنه عاد الى مدينته بعد عشرين سنة من الغربة فكتب هذه القصة ، من ضمن عدة اعمل كثير ة فقد إشتغل على التنوع الأجناس في الإبداع الأدبي ،وكتب الرواية، والقصة القصيرة، والشعر الفصيح.ولا تكمن أهمية الكاتب بغزارة منجزه الإبداعي وتنوعه فحسب بل بقدرتها على التنوع الخصب والتجديد والتجريب كل ما هو جديد ومدهش وتجريب كل إمكانات الإبداع، حتى أننا لا نرى مجموعة تشبه الأخرى، بل ولا نرى نصا يشبه آخرا أسلوبا ودلالة، فالتنوع والتجريب سمتان من سمات إبداعه الأساسية ،فنراه يقدم لنا رؤية بأثر أخرى ،كل واحدة لها قضيتها ،وموقفها الخاص من الحياة، والمجتمع وتكشف المشكلات الاجتماعية والاقتصادية بل حتى تلك التي سببها الاحتلال الأمريكي للعراق، لاسيما انتشار الإرهاب ،ونرى ذلك في بعض قصصه وروياته التي تتحدث عن الإرهاب وأثاره وقتله للأطفال فهو مبدع يعيش المجتمع والناس ويتمثل أوجاعهم مشكلاتهم ويحملها بين طيات ضلوعه وبنات أفكاره وينسجها نصوصا أدبية جميلة وموجعة في آن واحد ولعل هذا هو سبب التقاطها لشخصيات اجتماعية تعيش على هامش المجتمع وفي قاعه غير أنها صورة حقيقة ألآلامه وأوجاعه.

تضم مجموعة (مدن الثلج) على (35) قصة متنوعة الشخصيات والمشارب والرؤى، غير أنها تشترك بتسليط الضوء على حياة المسحوقين، والفقراء، والمهملين، والممحوين، من أجندة الحكومات والسياسيين وغيرهم.

وتبدو قصة (الجذور) مستقلة عن بعض قصص المجموعة، غير أنها في حقيقة الأمر تنتمي لها من حيث انها تشكل معها متن ومبنى سردي واحد مترابط، وكأنه خطوط ضوئية تنطلق من حزمة واحد، و ترتبط بمصدر الضوء ولعل مصدر الضوء هنا هموم الانسان العراقي في مجتمعه والاحساس بالغربة في المدن، يصل إلى حد فقد الدفيء المشاعر، فهي مدن ماتت فيها صلات القرابة واصبحت بارده .

ملخص القصة

تتحدث القصة(الجذور) عن شاب يعيش في مدينة تحكمها اعراف وتقاليد تمجد الانسان الذي لديه اصو ل عريقة فيها، وتحتقر الانسان الذي ليس له امتداد عميق فيها، وتدور القصة حول حدث واحد هو اثبات الهوية العشائرية أو المناطقية للبطل، وتوضح الأثر العميق الذي يحدثه هذه العرف على الشخصية البطل من الناحية النفسية والمادية، اذ انه لم يتزوج، ولم يكن في حياته استقرار؛ بسب هذه القيم التي احدثت عنده عقدة النقص، التي يمكن ان تستمر ليس عنده فقط بل لأجيال قادمة تمتد من نسله .

العتبات النصية

العنوان هو نص آخر، له دلالته الضمنية في الخطاب الروائي والقصصي، فمعناه من وظيفته لأنّ عنوان الشيء دليله ووضعه أن يكون في بداية المصنف لأنّه خير من يساعدنا في كشف غرض المؤلف[1]،فالعنوان عتبة لابد منها لكي نطل على فضاء النص ، فهو رأس الأمر ، الذي يستقبل القارئ كصاحب المضافة ، وتتجسد أهميته في كلّ عمل فني ، إذ لا يمكن الاستغناء عنه ، ولعلّنا لا نغالي إن قلنا

إنّ العنوان كالرأس من الجسد ، وتكمن فلسفته في براعة صاحبه، إن كان يعي ذلك أم لا.
و ((إذا كان العنوان يتميز ببنيته الدلالية الخاصة على المستوى الأول ، فإنه على المستوى الثاني يتداخل في معناه مع البنية الدلالية للنص))[2]
لذلك العنوان الذي أعطاه عاتي البركات يناسب القصة ويكسبها جمالاً وجمالية ، وجاء ملخّصاً لفكرته.
فالعنوان المحكم يغوي القارئ لقراءة للقصة ،أي أنَّ العنوان يتضمّن دراما إنسانية إذ لُفظَ، فإنه يمد الإنسان بعون وهمي في القدرة على الصمود من خلال التعبير الكلامي عن خيبة الأمل.
من هذا المنطلق سنرحل إلى عالم عاتي البركات القصصي ، وننطلق من عتبة عنوان قصة جذور، التي قد تتشابه في العنوان والعقدة القصصية مع رواية جذور؛ وهي رواية تاريخية ألفها أليكس هيلي الاميركي، تدور احداثها في تتبع تاريخ عائلة البطل منذ أحد أجداده؛ لأنه ينحدر من اصول افريقية ،ولا يعود هذا التناص في العنون في رأينا، إلى قصور في المخزون اللغوي لدى الكاتب، ولا إلى ضيقٍ في الأفق الخياليّ، ولكن إلى انضواء القصة والرواية على مسائل متقاربة .
واعتقد ان المسألة اعمق من ذلك فهي تتصل بجذور المجتمع العراقي، فكلمة جذور تشير الى الارض والى الاتصال بها فهي مأخوذ من اقوى جزء في النبات يرتبط بالأرض، ويثبتها فيها ويتغذى النبات عليها ، والأرض كما تقول الأمثال الشعبية العامة، وتشهد الأعراف الاجتماعية هي عند العراقي في الريف والمدن الصغيرة القريبة من الريف، العرض والكرامة والجاه والسلطان ومربط الفرس كما يقول عامة الناس. والأرض محور وأساس علاقات الاجتماعية من جاه، وعلاقات قربى، وعصبيات اجتماعية ،وإنتاج واستهلاك ،وادخار ،واستغلال. اذن هي علاقة الارض الجدلية بالإنسان العراقي ،امتداده المغروس في اعماقها يصل الى الف سنين، ويعطيها الدافع والقوة في وقت الانكسارات والشدائد، واستعمل كلمة جذور كأنه يعزف على سمفونية البقاء والخلود، وليس الخلود الجسدي، بل خلود الذكر والامتداد الطبيعي من خلل استعمال كلمة جذور والجذور لاتموت لذلك الأصل لا يموت .

- **استهلال القصة**

اهتم الشعراء والأدباء قديماً بحسن الاستهلال في قصائدهم وخطبهم ،وعنوا به عناية فائقة لجذب انتباه المتلقي لهُ وإثارة فضول المستمع،وتحفيزه للبقاء في أجواء النص، والإقبال عليه،لهذا اعتمدوا على تشبيب بالنساء والبكاء على الإطلال في بداية القصيدة.
وقد شكل لديهم حسن الاستهلال هاجس يشغل بالهم ومازال حتى الوقت الحاضر،واستمر سيطرة هذا الهاجس على الأدباء من قاصين وروائيين، فاختاروا بدايتهم بدقة وتنمق لجذب المتلقي لإعمالهم الأدبية.
غالبا ما تستهل القصة بمقدمة أو بداية للدخول إلى عالم الأحداث لعرضها، أو بافتتاحية سردية، "وهي مستلهمة من افتتاحية الأوبرا لأنها تمثل وحدة فنية مستقلة على الرغم من ارتباطها بالعمل ككل فهي تقدم بعض الثيمات التي ستتطور فيما بعد"[3].
ويبدو ان استهلال في القصة من أصعب أجزء الانجاز الأدبي القصصي، فالقاص يبدع نص موازٍ لجسد القصة في الوقت نفسه، وفيه تلميح عن محتوها الأدبي وموضوعها وإحداثها، يحاول ان يجذب القارىء لها، ويحثه على قراءتها "والاستهلال أهم عتبات النص الموازي التي تحيط بالنص الأدبي خارجياً"[4]، واهم عناصر البناء الفني؛ وهو العتبة الثانية للقارئ، وبوابة دخوله إلى العمل الأدبي،والخيوط الأولية للقصة التي يسعى القارىء للتمسك بها، ويتتبعها، لعلها تطابق توقعاته عن القصة.
وهي محرضة ومحفزة للقارئ ، وإشارات يستعان بها في القصة على توصيل دلالات اصطلاحية.لكن لها الأثر الفاعل في تفعيل الحدث وتأزيمه ، وغالباً ما تكون منطقة جذب للدخول إلى باحة القصة القصيرة جداً . ولما كانت جملة البداية غالباً ما يكتبها القاص ضمن منطقة اللاوعي ؛ فهي إذن تشكل مرتكزاً يمتاح منه عنوان القصة أو نهايتها أو فكرتها المحلقة.
قد ابتداء عاتي البركات القصة بفيض شعري دافق يكاد ان يكون قصيدة الومضة ذات طابع ونص المكثف وتمد جسوراً مع الايحاء والرمز ،الرمز شديد التركيز حد الوخز، وهو يختار الفاظ

مفرده"(ولكأنه درب الميعاد .....أو طريق الجلجلة..)" ولا شك في ان استهلالية القصة تبدو مناسبة فقد استعمل رمزين متضادين ليبين الصراع العميق في داخل نفس البطل فاستعمل ارض الميعاد وهي رمز ديني مقدس عند اليهود يدل على الأرض التي وعد الله اليهود بها بحسب ماذكر في كتب اليهود التراثية .

أي الارض الموعود له وهي ثيمة الخير هنا بعد طول ضياع في بلاد الله ليصل الى الامل وبناء الوطن ، ثم يحذف الكثير لينقلنا الى رؤية اخرى معاكسة للرؤية الأولى باستعمال رمز ديني مقدس ، لكن عند المسيح وهو طريق الجلجلة و،الجلجلة هي مكان الصخرة التي يعتقد ان المسيح (ع) صلب عليها. وهي اشارة لم يمكن ان يحصل للبطل كما انها المكان الذي يصلب به الغريب ، وهنا يخرج اللاوعي عند الانسان العراقي ففي كل يوم يصلب الف مرة ومرة ويصلب الوطن على طريق الجلجلة ويسير شعب يحمل المسامير والصليب لأنه يعيش في موطنه كالغريب .انه احساس متأصل عند العراقيين لكثرة القتل والتنكيل بهم على امتداد الزمن وعلى الرغم من ذلك يبقى العراق فيه الامل لان ارض العراق هي الارض الموعوده بان يقيم فيها العدل وينطلق الى العالم ، وهنا تحرك عاتي البركات خارج التجربة الذاتية ،وستدعى ما بحوزته من مشتركات الذاكرة الجمعية لكل العراقيين، من معتقدات وقناعات راسخة، كي يصهرها في مختبر سرده والاعتقاد والشعور هذا يتقاسمه العراقيون وحدهم.

- **الشخصية :**

تحتل الشخصية موقعاً مهماً في بنية الشكل القصصي، فهي أحد المكونات الأساسية للقصة إلى جانب السرد والبيئة . وتأتى أهميتها كعنصر الرئيس في القصة، وتهتم القصة بتصوير المجتمع الإنساني[5]ككل وتعدّ الشخصية العمود الفقري فيه ، والقوة الواعية التي تدور في فلكها كل شيء في الوجود. ولا يختلف النقاد والدارسين على أهميتها في أية دراسة قصصية شاملة ، وتتماز القصة عن الفنون الأدبية الأخرى في الشخصية التي نستطيع ان نميز بسهولة[6] عنها في مراتبها وصفاتها وطرق بنائها ودرجة تطورها ،وتقف فيها الشخصيات عارية أمام عيني الناقد في تضاعيف الصفحات إذ لا تستطيع أن تخفي بعض عيوبها كما يحدث في الرواية مثلا.

وهذا لا يدل على سهولة دراسة الشخصية في القصة اكثر من الرواية ، لان رسمها وفق ترتب محدد يتم حسب قوانين لا تتهاون بالمغالطة ، اذ يبدو أي نشاز في الشخصية ، من دون عناء كبير ، بارز بصورة واضحة على مساحة القص. كما إنّ شخصيات القصة القصيرة "تولد دائماً ذلك الإحساس بالشخصيات الخارجة على القانون التي تهيم على حواف المجتمع"[7]. تتمرد على العامّ الاجتماعي ، وتعيش أزمته فتنفرد بجدارة القص، وذلك ما وجدناه في شخصية سالم البطل وهي شخصية الاساسية في القصة والمحورية التي تدور في فلكها سائر شخصيات القصة ، وقد قام القاص بتقديمها على شكل دفعة واحدة،عن طريق الوصف الدقيق وإنشاء بطاقة هوية، وهو مايسمى بتصنيف الشخصيات في السرد (بالشخصية الجاهزة).

يرى الدكتور عز الدين اسماعيل: إن الشخصيات ذاتها في القصة نوعان:

الاول : "الشخصية الجاهزة": شخصية مكتمل ثابتة في تكوينها لا يتغير من بداية القصة الى نهايتها ،ماعدا علاقتها بالشخصيات الأخرى ، أما تصرفاتها فتلتزم دائما طابع واحد ثابت.

ثانياً: "الشخصية النامية": عكس الاول هي في تغيير مستمر وتطور لا يكتمل الا في نهاية القصة، فالمواقف تطورها ، وتتصرفات في كل موقف تصرف جديدة يكشف لنا عن جانب منها[8].

ويظهر ان الشخصية الجاهزة عند عز دين اسماعيل: شخصية استعيرت من الواقع ومن اعمال ادبيه اخرى ولم يجرى عليها اي تغيير وعلى الاغلب هي شخصية مكررة وشخصية متنقلة[9].

ويقول ميشال بوتور: "يعلم كل منا أن الروائي[10] بين أشخاصه، شاء أم أبى، علم بذلك أو جهله، انطلاقا من عناصر مأخوذة من حياته الخاصة، .وأن أبطاله ما هم إلا أقنعة يروي من ورائها قصته ويحلم من خلالها بنفسه[11]" فشخصية سالم شخصية متكررة في المجتمع العراقي شخصية متشظية ، ينتهي وجودها إلى أفق مسدود، شخصية حزينة ، ذلك الحزن المتجذر في الشخصية العراقية موروث في اللاشعور الجمعي، ينبع منذ الف السنين الممتزج بالتاريخ الذي له اسبابه الدينية والبيئية والسياسية والاقتصادية، وهو صفة ملازمة للشخصية العراقية[12].

طالما راينا مثل هذه الشخصيات في المجتمع العراقي، خاصةً الشخصية التي تحمل وجع وحمل ثقيل وشيء تخفيه عن الناس، تشعر اذا عرف انتقص منه، شخصية تعيش في مجتمع قبلي وطبقي ، وكثيراً ما يخفي الصمت شيء ما، والسارد منذ البداية صرح بأسباب الصمت لهذه الشخصية وحددها بانه "لم يكن مسوغ لصمته الكبر او الغرور، او أي صورة من الصور البعيدة عن الاخلاق ، بل كان مهذباً متسامحاً متواضعاً بين ثنايا قلبه من المعاني الجميلة"[13]

اذن الحزن كان سبب الصمت، حتى ان السارد عزز عمق هذا الحزن بارتداء البطل الون الاسود، وعلى الرغم من تعدد معاني هذا اللون ووصولها الى حد التناقض الا ان استعمال هذا اللون في هذه القصة يعطي بعدين احدهم أنثروبولوجي ، وهو الحزن وهذا ما يدلّ عليه اللون الأسود في معظم بلدان العالم فهو " رمز الحزن والألم والموت ، كما أنه رمز الخوف من المجهول ، والميل إلى التكتم ، ولكونه سلب اللون يدل على العدمية والفناء "[14]، فالألوان ترسل ذبذبات متفاوت تؤثر في وعي الانسان ومدلولات مختلفة ، فالاسود يرسل احساس لتلاشي النور وانعدام الضوء والألوان وحلول الظلام، وبما أنه لا وجود للحياة من دون أضواء وأنوار فيندر وجوده في الطبيعة.

وهو كذلك يشير الى الماضي الحزين الذي يحيل اثره الى الحاضر، فيصبغه بلون الحزن المتجذر.

اما البعد الاخر هو البعد النفسي فيقول طبيب علم النفس الاجتماعي "إبراهيم بالي أغلو": على الرَّغم من أننا نربط الأسود بمعانٍ سلبيَّة فلا يُمكن أن ننكر أنَّه يُمثل الجدية والاحترام والنُّبل" [15]وحقيقة ان اللون الاسود له بعد انثربولوجي عميق في الوجدان العراقي فالمجتمعات تميل لاستخدام الألوان التي تتسق مع معتقداتها وثقافتها. لذلك هو يشير الى الحزن وخاصة في شهر عاشوراء وارتباط هذا اللون بمناسبة دينية حزينة ذكرى مقتل الامام الحسين(ع) وارتداء اغلب اهل الجنوب هذا اللون حزناً عليه في الشهر المذكور انفاً . وقد يشير اللون الى والهيبة والوقار والقوة لمن يرتدية ، لأنه مرتبط بارتداء الشخصيات الاعلى رتبة في المجتمع العراقي وهم علماء الدين لهذا اللون وبالأخص المنحدرين من نسل النبي(ص) .اذن استطاع هذا اللون ان يوصل للقارىء ان هذه الشخص حزينة ووقورة وذو هيبة في الوقت نفسه، وقد تأزر مع توظيف اللون وصف السارد لشخصية البطل لإيصال هذه الفكرة.

وشخصية سالم ليست شخصية الساكنة ثابتة لا تتغير طوال السرد بل هي الشخصية النامية ، اثرت على بنيتها تسلسل الاحداث وتغيرت تبعاً للتغيرات التي تطرأ على الأحداث في السرد. إن شخصية "سالم" شخصية غير مستقرة، تغيّرت أفكارها ومواقفها تبعاً لتغير الحوادث، والتجارب .

كما انها من الشخصيات دينامية تمتاز بالتحولات المفاجئة التي تطرأ عليها داخل البنية السردية. وعند النظر إلى الدور الذي تقوم به الشخصيات في السرد يجعلها شخصية رئيسة. [16]

قد يربط السارد اسم الشخصية الرئيسة بعلامة أو صفة ،او يمكن ان يجعل الصفة من صفات الشخصية تقوم مقام الاسم ، وتخذا السارد اسم لهذه الشخصية وهو(سالم)وهو يشير انثربولوجيا الى البريء من الأمراض الناجي من كل آفة ، ومن كل مايصيب الشخص من نقص او عيب، وهذا ما ارد السارد ان يوصله .

اما الشخصية الثانوية او ما تسمى بالشخصيات المساعدة، التي ليس لها دور رئيسي لكنها تؤدي دور مهم يساعد في ربط اجزاء القصة واحداثها و إكمالها، وبدونها لن تُكتمل الأحداث،

وتكون مؤثرة لكنها غير مصيرية، تحرف مسار القصة أو تضيف حدثا شائقا.ومن هذه الشخصيات شخصية (ام سالم) وهي شخصية ثابته تأخذ مظهرا ثابت منذ بداية القصة إلى نهايتها.

على الرغم من ان الأم تعد رمزاً كبيراً ورثته من الفضاءات الانثربولوجية البدائية الشرقية، ألا ان شخصية (ام سالم) لم تعطي توتر دلالي في هذه قصة، والتزمت بالقالب المحلي الذي يظهر الأم واقع معاش ورمز للنبع الأرضي، ومظلة للحنان والسكون ، صورتها بصورة المرأة المستكينة المغلوبة على امرها، المضحية من اجل ابنائها وهي بؤرة للسكونية والنكالات الاجتماعية، مهضومة الحقوق ، تتقبل صدمات القدر باستسلام ورضا، وتدفن همها بتربية ابنائها، ان الصورة النمطية المحلية لشخصية الأم في القصة الرواية العراقية المرأة الضعيفة المستلبة، وهي صورة تغذت من الواقع المعاش، لذلك نرى تهميش واضح لها في القصة المحلية والرواية، لانها ليست مضخة للأفكار والمغامرات فهي تأخذ وضع السكون في الاحداث لذلك وضعت في الغالب شخصية ثانوية تلتزم على الاغلب نمط واحد في القصة، هذا الأمر

الذي يجعل منها قيمة قصصية بالية أو مستهلكة أو هذا هو منسوب تمثلها كما قرره الوعي القصصي المحلي، والقصص العراقية لاتخلو من وجود الأم ولكنها لاتبدو فاعلة ،وحضورها لم يكن أكثر من مظلة نفس.

الأم ثيمة متعددة الابعاد فهي امرأة ولابد من ان يكون لها هوية شخصية وماضي وسجل حياة عاطفي وذكريات يتجاهل القاص المحلي على الاغلب هذا كله، ويتمسك بالصورة النمطية لها ، وهذا ماوجدناه في قصة جذور لم القاص يذكر أي شيء عن هويتها الشخصية ولا عن ماضيها العاطفي الذي يؤدي لتجريك القصة وكشف السر ولنقل القصة الى بعد اخر . ربما انه لايريد ان يربك الحدث ويقلل فرصة البطل المحورية، لذلك لم يخرج القاص عند

تصوير الام العراقية في قصة جذور عند تصوير المحلي في القصة لها ، فصورة الأم الصابرة على الآم ،المتحملة لكل مصائب الدهر ،التي ربت ابنها بعد ان فقد الاب ،هي المسيطرة على اغلب قصص ، ويبدو ان اغلب تصوير الاسرة في السرد العراقي يكون على هذه الشاكلة ، فقد الاب بسب القتل او التهجير او الابعاد والحبس ،لكثرة الحروب والقتل والاعتقال فهذا الافكار متمركزة بالذاكر الجمعية ،فالعراق لطالما فقد الرجال بالقتل والاعتقال او الاعدام واصبحت المرأة المسكينة هي من تتحمل المسؤولية العائلة واصبحت دموعها وسيلة للتصبر على مصائب الدهر.

لم يجعل القاص اسم للأم بل اكتفى بالكنية، فللأم مكانه سامية في المجتمعات على مر الزمن لما تؤدِه من مهام بارزة في بناء الاسرة والحفاظ عليها، "وخلق الاستقرار والسلام النفسي بها، وإن كان على حساب نفسها وسلامها الداخلي ، فإن كونها أماً يبقيها على اتصال بالعائلة أكثر من كونها الزوجة"[17] لذلك اختار القاص الشخصية النسائية الوحيدة في القصة هي الأم لأنها جذور الاسرة .

وقد وصفها بالحزن والخوف على ابنها والبكاء المستمر خوفاً عليه من المجهول أو أن يصيبه مكروهُ ، فهذا شأن اغلب الامهات العراقيات في الخوف على ابنائهن من المجهول والحنو عليهم، لكثرة ما مر على العراق من معاناة وآلم وفقد الأم لأبنائها على مر العصور بسبب الحروب والثورات والانتفاضات وغيرها من النكبات والكوارث فالأم العراقية وريثت كل احزان الارض وجسدت حزنها وخوفها على ابنها منذ ولادته وهي تهز المهد بالتهويدة الحزينة ، لذلك فقد تجسدت فيها العاطفة الطاغية بقوة لدرجة أنها كانت تبحث له عن السعادة ، وتشفق عليه من هذا الحزن الكبير ، ونجد الى جانب ذلك الاهتمام بالأم والتعظيم لها في نفس الابن ، يرجع ذلك الى الاصول البدوية القديمة بل الى العصر الجاهلي إذا كانت العرب، في جاهليتها، تعظّم الأم[18]، وتضعها في مكان أسْنى، وتفخر بها جنباً إلى جنب مع افتخار شعرائها بالأب، كما لدى الشاعر الصعلوك الشنفرى، بل إن من الجاهليين مَن قدَّم الفخر بالأمومة على الافتخار بالأب؛ كما فعل السموْأل في إحدى قصائده.

اما الشخصيات الثانوية الاخرى ظهرت بالقصة من دون أسماء ولا ملامح لها وايضاً من دون عمق ودواخل، كالتي نصادفها كل يوم، ولا نهتم بالجانب المظلم والمتخفي فيها، هي مجرد صفات أو رموز (مثل المتطفلين في المقهى) .

اما الشخصية المساعدة : في القصة فهي شخصية الحاج محمود وهي الشخصية تسير بشكل موازٍ للشخصية الرئيسية ، وتدفعها على مساحة القص لكي تقوم بأعمالها ، حيث تبدو هذه الشخصية المساعدة رديفةً من الناحية النظرية أو العملية ، للشخصية الرئيسية في تحقيق مشروعها وظهرت بصفاتها النفسية " السيكولوجية " والخارجية ليكون وقوفها إلى جانب الشخصية الرئيسية مقنعاً

الزمان والمكان

يعد المكان من العناصر المهمة في بناء القصة فلا قصة من دون مكان ولا توجد شخصية ، فأحداث القصة تجري في المكان وتتحرك شخصية في فضائه، ويصنع المكان الشخصيات وتصنع الشخصيات مكانها الخاص، ويشكل مع الزمان خصوصية متفردة في بناء الشخصية وهما متصلان ومتلازمان (فلا يمكن تناول المكان بمعزل عن تضمين الزمان كما يستحيل تناول الزمان، في دراسة تنصب على عمل سردي، دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان، في أي مظهر من مظاهره)[19]

يرتبط المكان بالزمن بالشخصية في العمل الادبي ويدرك الزمن الذي لايرى اثاره على المكان والشخصية، فالعلاقات المتبادلة بينها من المكونات السردية، ولعنصر الزمن اهمية في رقي العمل

السردي، فهو الهيكل الذي تبنى عليه عناصر المروي ، وهو فاعل في العمل الادبي ويحمل القدرة على التغيير ،ويعرف بأنه: "زمن المادة الحكائية في شكلها ما قبل الخطابي إنه زمن أحداث القصة في علاقتها بالشخصيات والفواعل (الزمن الصرفي) "[20] ، أي إنه المادة الخام، أو المادة الأولية التي يمتلكها الروائي ، التي تنقلنا الى عصر او زمن حدوث القصة فنتخيلها ، لكن القاص لم يحدد اي زمان او مكان للقصة وذلك لامكانية حدوث هذه القصة في كل زمان ومكان في مدن العراق الجنوبية ،وحددناها في جنوب العراق من خلال سلوك الشخصية وعادات وتقاليد المدينة التي ذكرت في القصة ، وللمكان أثر واضح على الشخصيات في العمل القصصي في توجيه تصرفاتهم وتأثير على قراراتهم وبلورة نفسياتهم ، وتدل احداث القصة على الموقع الجغرافي الى المدينة التي حصلت فيها القصة ،من خلال ذكر عادات وتقاليد المجتمع منغلق (او شبه منغلق) أي شبيه بالمجتمع الريفي، فقد تكون مدينة صغيرة لكنها قريبة من المجتمع الريفي ، مما يعطيه بعض الخصوصيات التي تميزه عن المجتمعات الاخرى ، ريفية كانت ام مدينة .

ويظهر ان هناك عملية تأثير متبادل بين المجتمع الريفي وبين المجتمع المديني ، أي بين البنيه الريفية للمجتمع العراقي وبين البنية المدنية له . ذلك لأن بناء مجتمع المدينة العراقية وخاصة الصغيرة، هو في الاساس متكون من البنى الريفية للمجتمع.

ونستنتج من احداث القصة والصراع الذي يدور فيها، أن مجتمع هذه المدينة قد تشكل من النازحين من القرى والارياف ، ومما تبينه القصة من اهتمام بخارطة النسب العشائري للمجتمع الحضري المدني ذلك المجتمع الذي تتكون بنيته البشرية في اغلب الاحيان من العوائل ذات الاصل العشائري الواحد الى حد ما .

العادات والتقاليد

العادات نوع من سلوك اجتماعي متوارث يحظى برضا والاتفاق الجمعي وتمتلك قوة وسلطة على الأفراد والمجتمع للالتزام بها والانقياد لها "فهي بمثابة أنظمة للمجتمع وقانون الجماعة وتاريخها وتراثها الحضاري الثقافي، المتناقل عبر الأجيال بشكل شفوي منقول بالتربية"[21] وتعد العادات والتقاليد جزء من الهوية الثقافية والوطنية لذلك المجتمع ،وجزء مهم من التفكير الجمعي، وتحتل حيز كبير في التأثير على سلوكيات الافراد، ويحرص المجتمع عليها ،ويعاقب من يخرج عنها بعقوبات منها التأنيب والتوبيخ، والعزل ، وغيرها.

وفي قصة(جذور) شكلت العادات والتقاليد العقدة الاساسية ومحور صراع في القصة ،اذ ان مشكلة النسب المبتور اثرت على البطل سالم وعلى سلوكياته وجعلته منطوياً على نفسه عازفاً عن متع الحياة ،بسب انه يجهل نسبه المتسلسل الى الجد العشرين .

ويظهر ان هذا العرف يرجع الى المجتمع البدوي، اذ ان كل المجتمعات لها نظامها الذي ينسجم مع ظروفه وأوضاعه الخاصة، والمجتمع البدوي عماده القبيلة التي يحتمي بها الأعرابي للدفاع عن ماله ونفسه، حيث لا حكومة ولا سجون يسجن فيها الخارجون على نظام المجتمع. والقبيلة قائمة على (عصبية) وهي التي تأخذ الحق، اما الاعراف لها المكانة العليا عندها يجب ان تطاع، ويعد النسب الرابط بين ابناء القبيلة على اساس (الدم) وهو بمثابة القومية التي تربطهم، وتسير الامور داخل القبيلة وبين القبائل الاخرى على اساس الاعراف التي تناسب عقلية القبيلة وتتناقل عبر الاجيال وتصبح قانون القبيلة.

ومازال هذا الموروث مستقر في العقل الجمعي للمجتمع العراقي ،كما ذكرنا سابقا يظهر بشك واضح في المدن القريبة من الريف وخاصة مدن جنوب العراق كما ذكر دكتور علي الوردي لقربها من الصحراء ، ام المدن الشمالية فهي بعيدة عنها.[22]

وقد اثر هذا العرف على بطل القصة الذي لايعرف اكثر من اسم جده الرابع وعندما يرتد في الزمن يستذكر طفولته وما لاقى به من استهزاء من قبل اقرانه ، بسب نسبه المقطوع ، والغريب ان الراوي العارف لم يخبرنا لماذا انقطع النسب فهو ليس مجهول الاب ولا الجد ،لكن يبدو ان ابوه او جده كان مبعد عن المدينة، ربما لا نه فعل شيء جعله يبتعد عنها بالقوة حسب تقاليد واعراف المجتمع القبلي، او انه لاينتمي الى أي قبيلة في الاصل واصله من ما يسمى بالعبيد الذين يعيشون في كنف الاقطاعية ،الذين تحرروا بعد الرابع عشر من تموز "بثورة عبد الكريم قاسم التي لغت العبودية نهائيا من التاريخ العراقي

ومنحت الجنسية العراقية لكل العبيد من السود والبيض على السواء"[23] . وفي تصور افراد المدينة ان البطل لم يستطيع ان يتكاتب مع شيخ العشيرة ليعُّد احد افرادها، ويطلق عليه بالعامية (مكطم)هو الشخص الذي ليس لديه عشيرة او قبيلة.

ان اثر هذا العرف جعله يعزف عن الزواج عندما كانت تطلب امه منه ذلك وكان له حجتان الاولى انه لايعرف اجداده وهذا يرجع الى التقليد البدوي، والاخر الى تقليد حضري وهو الطبقية بحجة انهم فقراء ، وكل هذا جعل منه شخصية مستسلمة حتى لايريد ان يبحث عن اصله ،على رغم من ما وصفه القاص بكثير من الصفات التي تدل على قوة الشخصية ، يقول الدكتور علي الوردي "ان التربية الاجتماعية في مدن العراقية تعلم الفرد ان يكون سبعاً اتجاه البشر ومخنثاً اتجاه القدر وهذا من مظاهر ازدواج الشخصية فيه" [24] .

- **الوجهاء**

في داخل هذا النسيج القبلي ذو التركيب الهرمي نجد اهمية الوجهاء والشرفاء والدورهم الكبير في المحافظة على التوازن الاجتماعي ، والاصلاح داخل المجتمع، فهم اهل رأي ومشورة ونسب وعلم وحكمة ، وطالما ربطوا عالم القبائل بعالم الإسلام الواسع ذي الميول الحضريّة، ويسعون جاهدين انفسهم لإصلاح حياة الناس، لذلك ارتفع مقامهم عند الناس بذكرهم الطيب، وترفعهم عن كل خلق ذميم، وسمو فكرهم وعملهم ،واقوالهم وافعالهم عن كل قبيح، فهم واجهة المجتمع ،ولهم المقام السامي فيه، وقد وصف الله نبي عيسى (بالوجاهة). قال الله تبارك وتعالى ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾[25].

الوجهاء في العشائر العراقية هم من كبار السن في العشيرة ،لهم حصافتهم العشائرية، علمهم العام بالسنن والشرائع العشائرية بالإضافة الى ثرواتهم في بعض الاحيان ، لان المال يؤدي دوره في هذا الجانب. وقد استخدم القاص شخصية الحاج محمود الشخص الفطن صاحب الشخصية المؤثرة الذي يمتلك فراسه في معرفة الناس ،من اجل توضيح اثر الوجهاء في المجتمع العراقي وما يمتلكون من مكانه في فك رموز اسرار هذه الشخصية بفراسته.

- **الأساطير والخرافات**

لا يوجد شعب من شعوب الأرض إلا وله خزين من الأساطير والخرافات، يعبر بها عن حاجة نفسية وروحية، ومفسرة للكون الذي يعجز عم تفسيره،فالأسطورة "هي حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود وحياة الإنسان"[26].

للأساطير علاقة وثيقة بالأديان والمثيلوجيا الدينية ، وهذا ما أكسبها قدسية من قدسية الدين ورموزه، والدين يقوم على الايمان المطلق الذي لايقبل التشكيك والتساؤل ولا يسمح بالمناقشة ولا المسائلة عن يقينه وطقوسه. وقد استعمل القاص عدد من الاساطير في قصته منها "ان الارواح تصعد الى السماء والجسد يبقى تحت الاديم "[27] وعلى الرغم من ان القاص نسب هذه الاسطورة الى المسلمين الا انها موجودة في اغلب الديانات التوحيدية من مسيحية ويهوديه وصابئة .

كذلك استعمل الميثولوجيا "التي هي أكثر انواع الحكايات التقليدية شبها بالأسطورة، ولكن العين الفاحصة ما تلبث حتى تبين الفروق الواضحة بين النوعين، تقوم الخرافة على عنصر الإدهاش وتمتلئ بالمبالغات والتهويلات، وتجري أحداثها بعيدا عن الواقع"[28] ومن ميزاتها أيضا بأنها لا تمسح ولا تختفي من الذاكرة الجمعية ومن لاوعي الإنسان تماما، ولكنها تظل تتأرجح بين حالة ظهور وهيمنة وسطوع براق أو حالة من السكون والاستتار والخفوت، تبعا لحالة وواقع التطور العلمي والثقافي والاقتصادي للشعب المعين في مسيرة تطوره أو نكوصه.

وقد استخدم القاص هذه التقنية في ايصال التأثير على القارئ وايصال المغزى في قوله :"هناك حكايات عجائز تقول بان ارواح الموتى تأتي بيوت اهليها على هيئة طيور لأنه الحنين"[29] وهذه الخرفات متأصلة في المورث الشعبي ربما يرى بعضهم ان لها اصول دينية ، لكن في الحقيقة ترجع الى الجاهلية حيث كانوا يعتقدون ان المقتول اذا لم يؤخذ ثأره يخرج من قبره طائر يسمى الهامة .

ولقد تركت الاساطير الى جانب الخرافات اثرها في المجتمع العراقي وفي الشخصية العراقية الى درجة كثيرا ما يستشد بها في حل قضاياه ،وفي تفسير الغامض والمجهول.

الخاتمة

اسهم التحليل الانثروبولوجي في الكشف عن بنى اجتماعية وثقافية داخل النص القصصي في قصة (جذور) ونقل تجربة انسانية، واماط اللثام عن امراض اجتماعية، تتمثل بالاغتراب في مجتمع تحكمه العادات التقاليد، واوضح التحليل الانثروبوحي سطوت العادات والتقاليد القبلية ومسايرة الشخصية العراقية للعادات والتقاليد والرضوخ لها ومجاراتها وعدم الوقوف ضدها ،وهذا ما اثمر عن انسان يحلم بفك قيده ويتحرر من قيود المجتمع ، وبين تحليل الانثروبولوجي ان الشخصية العراقية ملتصقة بالماضي الذي يتحكم بالحاضر وعدم التفكير بالمستقبل، وبينت ميل نمط التفكير العراقي الى الثبات والسكونية في القناعات والامكنة والنفور من تجديد والميل الى الانغلاق والعزلة. فضلاً عن نزعة الحزن التي لها جذورها التاريخية والثقافية وانعكاسها على الرؤية المستقبلية للحياة.

الهوامش

[1] مدخل إلى عتبات النص، عبد الرزاق بلال:30

[2] ، الربيع الأسود ، دراسة في عالم زكريا تامر القصصي، مفيد نجم : 15

[3] - بناء الرواية، سيزا قاسم:39

[4] - بنية الجملة الاستهلالية في القصة القصيرة، ياسين النصير، مجلة الأقلام، بغداد، العدد 1988،12،11 :27

5 –انظر: بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي: 269

6 – فيما إذا قورن ذلك بفنون القصص الأخرى مثل الرواية

7 –الصوت المنفرد (مقالات في القصة القصيرة) ،فرانك اوكونور، ترجمة محمود الربيعي:14

8 – الكتاب: الأدب وفنونه – دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل:108

9 - المصدر نفسه.

10 - ومثله القاص

[11] – بحوث في الرواية الجديدة، ميشيل بوتور، ترجمة: فريد أنطونيوس:98

[12] - الشخصية العراقية في ملحمة كلكامش – دراسة انثروبولجية، د. سندس محمد عباس/مجلة الدراسات المستدامة / السنة الخامسة /المجلد الخامس/ العدد الثالث/ ملحق(2) لسنة 2023: 2778

[13] –مدن الثلج/ عاتي بركات :104

[14] - اللغة واللون ، د.أحمد مختار عمر : 186 .

[15] - الألوان والإنسان، مليح مرد، تم الاطلاع عليه/2023/2/7 الموقع الالكتروني،http://www.alhiwartoday.net/node/12779

[16] – نظرية الأدب ، ويلك ووارين، ترجمة: محيي الدين صبحي: 229

[17] - صورة المرأة الام عند كاتبات القصة القصيرة في ايران بعد الثورة الاسلامية، ماجدة عبد العليم محمد سليمان، المجلة الدولية لدراسات المرأة والطفل،العدد الثالث / شهر السابع / 2021 : 148

[18] - ينظر: قراءة أنثروبولوجية في واقع المرأة العربية بين التقاليد والدين ،د. سندس محمد عباس، مجلة الفنون والادب وعلوم الانسانية والاجتماعية ،2019: 159

[19] – تحليل الخطاب السردي :مرتاض : 227.

[20] – انفتاح النص الروائي (النص– السياق)، سعيد يقطن: المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1989: 49.

[21] - الظواهر الانثروبولوجية في القصة العراقية، د. سندس محمد عباس: 158

[22] –دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ،الدكتور علي الوردي:151

[23] - العبودية .... التاريخ المسكوت عنة في العراق/جاسم محمد كاظم / الحوار المتمدن-العدد: 6625 - 2020 / 7 / 22 ، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=685691

[24] دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ،الدكتور علي الوردي:134

[25] - ال عمران :الآية 45

[26] –(الأسطورة والمعنى) فراس السواح ،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة– دمشق. ط2 2001: 14

[27] مدن الثلج،عاتي البركات:110

[28] (الأسطورة والمعنى) فراس السواح ،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة– دمشق. ط2 2001: 15

المصادر

1. (الأسطورة والمعنى) فراس السواح ،دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة- دمشق. ط2 2001
2. الصوت المنفرد (مقالات في القصة القصيرة)، فرانك اوكونور، ترجمة محمود الربيعي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، (دار الكاتب العربي) القاهرة ،1969 .
3. الأدب وفنونه - دراسة ونقد، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي
4. مدخل إلى عتبات النص، عبد الرزاق بلال، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 2000
5. مدن الثلج، عاتي بركات،دار الحق،1999
6. نظرية الأدب ، ويلك ووارين، ترجمة: محيي الدين صبحي، المؤسسة العربية، بيروت، 1985، ط3
7. اللغة واللون ، د.أحمد مختار عمر ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط1، 1982 .
8. الظواهر الانثروبولوجية في القصة العراقية، د. سندس محمد عباس، دار نيبور للطباعة والنشر ، 2022
9. انفتاح النص الروائي (النص- السياق)، سعيد يقطن، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1989
10. بحوث في الرواية الجديدة، ميشيل بوتور، تر: فريد أنطونيوس- دار عوينات، بيروت،1982 ط2
11. بناء الرواية، سيزا قاسم، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985.
12. بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، 1990
13. تحليل الخطاب السردي، (معالجة تفكيكية سينمائية مركبة الرواية زقاق المدق)، عبد المالك مرتاض، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية
14. دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ،الدكتور علي الوردي، دار الوراق للنشر، الاردن
15. الربيع الأسود ، دراسة في عالم زكريا تامر القصصي ، مفيد نجم، منشورات وزارة الثقافة دمشق 2006

الدوريات

1. بنية الجملة الاستهلالية في القصة القصيرة ، ياسين النصر، مجلة الاقلام، بغداد ،العدد1988،12،11ك27
2. الشخصية العراقية في ملحمة كلكامش – دراسة انثروبولجية، د. سندس محمد عباس /مجلة الدراسات المستدامة / السنة الخامسة /المجلد الخامس/ العدد الثالث/ ملحق(2) لسنة 2023/ 2778
3. صورة المرأة الام عند كاتبات القصة القصيرة في ايران بعد الثورة الاسلامية، ماجدة عبد العليم محمد سليمان، المجلة الدولية لدراسات المرأة والطفل، العدد الثالث / شهر السابع، 2021

4. قراءة أنثروبولوجية في واقع المرأة العربية بين التقاليد والدين ،د. سندس محمد عباس، مجلة الفنون والادب وعلوم الانسانية والاجتماعية ،2019

المواقع الالكترونية:

•سالألوان والإنسان، مليح مرد، تم الاطلاع عليه/2023/2/7 الموقع الالكتروني:
http://www.alhiwartoday.net/node/12779

•العبودية .... التاريخ المسكوت عنة في العراق/جاسم محمد كاظم / الحوار المتمدن-العدد: 6625 - 22 / 7 / 2020 ، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=685691